

العدد الحادي عشر

تشرين ٢ (نوفمبر) ١٩٦١

السنة التاسعة

No. 11 Nov. 1961

9ème année

الأدب

مجلة شهرية تعنى بشؤون الفكر

ص.ب. ٤١٢٣ - تلفون ٢٣٢٨٣٢ - بيروت

AL-ADAB REVUE MENSUELLE CULTURELLE
BEYROUTH - LIBAN - B.P. 4123

Tél. 232832

رئيس التحرير
قلمه المسؤول
الدكتور سويل إدريس

Rédacteur en chef et
directeur

SOUHEIL IDRIS

رحمك... يا دمشق!

قصة بقلم الدكتور سويل إدريس

واستمنا الى البلاغين الاول والثاني ، وكان زياد رافعا يده نحوي ،
كانما يشير الي بالا انكلم ، حتى اذا عادت الموسيقى العسكرية ، رايت
يده تهبط متدلية الى جانبه ، ثم يستدير على مهل ، ويتفكر خطوتين ،
ثم ينظر الي ، فاجد على وجهه مزيجا من دهشة وعدم تصديق ، ويقول
وعلى شفثيه بسمة مصفرة .

— الله ، الله ، يا دمشق ! الله ، الله ، يا دمشق !

واحس بحسمة يسقط الي قربي ، ثم ينحني راسه ، فيسقط بين
يديه . وظل زياد لحظة لا يتكلم ولا يتحرك ، وحين ازاح يديه عن وجهه ،
رايته مصطبغا بالدم ، كانما كان يستشعر خجلا وعارا ، ونظر الي عيني
مليا ثم قال : — لا تبكي يا ليلى ، فان الامر لن ينتهي هكذا ..

فلم اجد به بكلمة ، ولم اطلب منه ان يكف هو ايضا عن البكاء .
وما لبث ان نهض ثانية ، وهو يسحق دمعته باصبعه ، وادار مفتاح
الراديو الى اذاعة القاهرة ، فاذا بموسيقى عسكرية تبعث منها كذلك ،
ثم اذا بصوت المذيع يعلن ان الرئيس سيلقي بيانا هاما عما قليل .
وتسمر زياد في صمته ، ولكنه كان يرفع عينيه بين الفينة والفينة ،
فارى فيهما شرودا وغبية . ورزحت تحت صمته ، وانا احس ارهاقا
ومشقة ، ولم اتسالك نفسي ، فقلت له :

— اعتقد ان هذه التي يسمونها « انتفاضة مباركة » يؤيدها الشعب ؟
فالتفت الي ، ولم يجب ، كانما لم يسمع سؤالي ، ولكنه ما لبث ان قال :

— لا يمكنني ان اصدق ان الشعب السوري يؤيدها ..
وصمت هنيهة ثم اضاف :

— يبدو من البلاغين انها حركة تريد الانفصال ، فكيف تريدني ان
اصدق ان الشعب السوري ، ابا الوحدة ، يقتل ابنته ؟

ثم انتفض فجأة وتمتم بين اسنانه :

— لا افهم شيئا .. انني لا اصدق هذا .. لا اصدق هذا ..

واولاني ظهره ثم خرج الى الشرفة ، ووضع يديه على الحاجز ،
يشده بكل قوته ، ولكن سرعان ما دخل الفرقة حين ارتفع صوت المذيع
يعلم ان الرئيس سيتحدث

وجاء صوت رجل قناة السويس ، في لهجة خطاب قناة السويس .
وارتمى زياد الى جانبي ، وانفجرنا بالبكاء .

ولكن الامل كان يتلأل في عيوننا مع الدمع ، حين غاب الصوت
الحزين التمزق .

ولقد انفجر هذا الامل في صوت زياد ، هتاف فرح وجلل ، حين

الفينة منكبنا على اوراق امامه يقرأ فيها ، حين دخلت عليه المكتب .
ولم يرفع راسه الا حين اصبحت قبائلته ، ووضعت يدي على طاولته ،
وانا احس بانها ترتجف . وسرعان ما بادرتني :

— ما ؟ لماذا ارى وجهك منتقما ؟

فلم ادر . انه النبا ، وظللت لحظة حائرة مضطربة ، فاذا
هو ينهض عن كرسيه . ويستدير حول الطاولة ، ثم ياخذ بيدي فانلا :

— اتشكين شيئا ؟ هل استدعي الطيبة ؟

لقد ظن اذن اني موشكة على الوضع ، وان امتناعي واضطرابي من
علاماته . وهزئت راسي نفيا ، ثم سمعت صوتا ضعيفا يخرج من بين
شفثي : — اذهب فاستمع الى الراديو .

فترك يدي ، وهم بان يمضي ، ولكنه عدل ، وكانه يخشى
ان يسمع شيئا لا يروق له ، وعاد يسألني بلهفة :

— ماذا هناك ؟ ماذا يقول الراديو ؟

فاحسست اني اتداعي للسقوط ، ولكنني تماسكت ، وقلت من غير
ان انظر اليه : — لقد وقع انقلاب في دمشق .

قال والذعر في عينيه : — ماذا تقولين ، في دمشق ؟

فاومات براسي ، وانا اغمض عيني . وشعرت بيده تمسك ذراعي
ثانية وتهزها : — تقولين في دمشق ؟ انت متأكدة من انك سمعت
هذا : في دمشق ؟

اجبت بصوت ضعيف : — هذا ما اعلنه راديو دمشق بالذات ..
ورأيتني ينصرف عني ، معجل الخطى . ولكنني حين تبعته ، احسست

انه كان بطيء السير ، كما لو ان اعباء ثقيلة قد القيت على كتفيه .
وتصورت ركبتيه تصطكان ، فشعرت باصكاك في ركبتني . وحين دخلنا
البيت ، الفيتني ارتدى على الاركة ، بينما انحنى هو يرتفق الطاولة
العريضة التي كان جهاز الراديو موضوعا عليها .

وكان صوت موسيقى عسكرية تبعث من الجهاز ، ورايت زياد يلتفت
الي ، وفي عينيه تساؤل ورهبة . ولم اطق هذا الصمت ، فبدأت
اقول : كنت ابحت عن الموسيقى الصباحية ، فاذا بي اسمع مثل هذه
الموسيقى العسكرية ، ثم سمعت عبارة « هنا دمشق ، محطة الاذاعة
السورية .. »

وما كنت ابغ هذا الحد من كلامي ، حتى انقطعت الموسيقى
العسكرية ، وارتفع صوت يقول ، كانما هو صدى للعبارة التي نطقت بها
تلك اللحظة : — هنا دمشق ، محطة الاذاعة السورية ..

ناداني في الساعة الثانية بعد الظهر ليطلب مني ان اصفي الى البلاغ التاسع ، ثم سمعنا العبارة الحبيبة تهادي من جديد :

« اذاعة الجمهورية العربية المتحدة من دمشق »

وتحول زياد انسانا اخر ، ينفق كل طاقاته في الكلام ، هو الذي يؤثر الصمت ، فاذا به يطلب اليانا ان ننسى هذه الساعات القليلة التي مرت علينا ، ويقول انها كابوس قد انقضى ، وان دمشق ستظل كمبة الوحدة والعروبة ، وان سحابة الصيف قد انجلت . وراح يتصلل باصدقائه واقربائه في كل مكان ، حتى خيل الي ان سماعة التلفون ستنوب في يده من فرط الحرارة التي كان يحملها صوته اللاهث في تفسير الفرحة والابتهاج والطلاقة . وحين وضع السماعة التمتبة ، سمعنا اصوات هتاف في الحي ، فخرجنا الى الشرفة ، فاذا بنا نرى بضعة رجال وشبان قد عقدوا حلقة مستديرة ، كان ابو احمد ، بائع السوس محاط بها ، وهو يصفق صنائجه مغنيا هانفا . وتبيننا على الفور ان اصحاب الحلقة كانوا سليم النجار ، وحلمي بائع الفول ، واما على الحداء ، وقد انضم اليهم بعض الشبان يقنون ويهتفون بحياة الجمهورية العربية المتحدة وحياتة رئيسها ، وحياتة الشام . وتذكرنا بعد قليل ان ابا احمد بائع السوس كان سوري الاصل ، وان باعة الحي احاطوا به كأنما يقصدون الى غاية او يوحون برمز .

وارسل زياد تنهده طويلة ، ونحن نعود الى غرفة الجلوس ، ثم اتجه الى المائدة التي كان الطعام جاهزا عليها منذ ساعتين ، فتناول غداءه بشهية لم اعهد لها فيه ، وقلت له بعد ذلك :

« لا اعتقد ان بوسمك ان تعود الى العمل الان ، فقد انفلتت في هذه الساعات انفعالا كبيرا .. »

قال باسمنا : - فهمت قصدك .. ان شوقك الى البنين قد بلغ غايته ، فهيا بنا الى المصيف . سوف اشعر بمذاق هذه النعمة شعورا اعمق حين اضهما الى صدري .. ثم توقف مترددا ، واطاف :

« ولكنك تنسين ان الطبيعة نصحتك بعدم ركوب السيارة في رحلة طويلة كهذه .. » وكنت اخشى ان يعدل بسبب ذلك عن مشروع السفر ، فالتحيت عليه قائلة باني احس راحة وهدوءا كبيرين وان بوسعنا ان نسير ببطء ، وان هذه ستكون اخر رحلة الى المصيف .

وعاد يتدفق في الطريق بحدث ينضى باطياف المستقبل المشرق ، ويناقش الشكاوى التي وردت في البلاغات ، ويعبر عن املة بان نفيد جميعا من ذلك الحدث درسا وعبرة ، وحين صمت ، ادركت انه قد عاد ينسج خيوطا جديدة في هيكل روايته التي يضمها الان . وسالته بعد قليل :

« انذكر القصة التي كتبتها اثر الوحدة ؟ »

قال باختصار ، كأنه ما يزال غارقا في افكاره : - نعم اذكرها ..

قلت له : - كانت دعمتك التي ذرفت حين سمعت البلاغ التاسع ، شبيهة بتلك ..

فظل على صمته لحظة ، ثم تباطأ قليلا في سيره ، وشد يديه على المقود وهو يقول :

« ولكن حسبنا دموعا يا ليلي . فينبغي ان نواجه قضايانا على غير هذا الاساس الانفعالي العاطفي ، يجب ان نتقبل افراحنا بغير الدمع العذب ، ومصائبنا بغير الدمع المر . الا ترين معي ذلك ؟ »

وحين اجبته باننا نحن العرب عاطفيون بطبعنا ، واننا لا نستطيع ببسر ان نغير هذا الطبع ، كنت ادرك اني لا اقول كلاما ايجابيا ، وان التماس هذا النوع من التبرير يدخل هو كذلك في طبيعتنا الانفعالية .

وقال لي زياد ، بعد ان نظر الى ساعته ، بلهجة عصبية :

« ارايت ؟ اننا الان بحاجة الى الراديو في السيارة ! »

وفهمت انه ينحي علي باللائمة ، فاذا التي كنت ائنيه دائما عن شراء جهاز راديو للسيارة ، بحجة اننا لن نحتاج اليه الا نادرا . وخطرت لي فكرة طريفة لم اتردد لحظة في التعبير عنها :

« ولكنك تنسى دائما يا عزيزي ان في السيارة جهاز راديو حين تكون البنات معنا ؟ هل هناك اغنية لا تعرفانها ؟ »

وحين ابتسم ، ايقنت انه قدسري عنه ، وهو يتشوف معي الى

لقاء ابنتينا اللتين كنا قد غينا عنهما ثلاثة ايام لينجز كل منا ترجمة الكتاب الذي كان بين يديه .

ورايتهما مطلتين من الشرفة ، كأنما كانتا في انتظارنا على غير ميعاد . وما كاد زيد يوقف السيارة ، حتى قفز السم قفزا ، بينما كنت اخرج الامتعة بانتظار وصول الخادمة ، ثم رايته يظهر على الشرفة ، وقد حمل كلا منهما على ذراع ، فراحنا تضحكان وتلوحان لي وتناديانني بصوتيهما الشاقين .

ووقفت انظر اليهم لحظات ، ولعلها كانت المرة الاولى التي احسست فيها بشعور الاطمئنان الى المستقبل ، والثقة بالفد ، ودعوت الله من اعماقي بان يرزقنا عما قريب غلاما تقر به عيون اسرتنا الصغرى ، وتكتمل فرحتها .

كان ذلك ، ما احسست به في قلبي ، وما اوحاه الي منظر زياد يحمل ابنتينا وهو يشع فرحة ويختلج بالرضى . ولكن هذا الاحساس لم يدم الا دقائق .

فحين دخلت غرفة الجلوس ، رايته يحرك مفتاح الراديو ، وابنتنا الصغرى على ركبته ، بينما كانت الكبرى تمد يدها الى جيبه تفتش عن حبة الشوكولا . ولما علم ان دمشق طليت اعتبار البلاغ التاسع لافيا ، وعادت عاصمة الجمهورية السورية ، ارتسم على وجهه شبح فجيعة لم اعرفها في ملامح انسان . ولقد ذعرت من هذا الوجه الذي يحمل الان كل علامات الموت والياس والدمار ، وقد كان الى لحظات يفيض ببشائر الحياة والامل والثقة . وكانت ابنتنا الصغرى قد هبطت عن ركبته كأنما شعرت انه قد كف عن الاهتمام بها ، فانصرفت عنه ، بينما ابتعدت الكبرى ، وقد تولاهما الغضب اذ لم تظفر ببقيتها . وكان ما يزال ينظر اليهما ، ولكنه لم يكن يراها . وكان يلزم صمتا خيل الي انه لن يخرج منه ابدا ، بل لكأنه كان يود اذ يلتزمه ان يشعر من حوله بأنه كان غائبا غير موجود .

وظل زياد ملتصقا بجهاز الراديو كأنما ينوي الا يفارقه لحظة ، ولم اره يهتم باستقبال بعض اقاربنا الذين جاؤوا يقضون السهرة عندنا واجتازوا بالاصفاء اليهم يتحدثون عما سمعوا وشاهدوه من فرحة اهل المصيف بحركة الانقلاب وشماتتهم بدولة الوحدة التي اعتبروها قسد انهارت الى الابد .

وخرج اخي سامي الى الشرفة ، وما لبث ان عاد ليبلغنا ان سكان المصيف قد بدأوا يطلقون الاسهم النارية ، ويشعلون الحرائق ابتهاجا ، ثم اطلق شتيمة ضخمة حملها كل رده على الشماتة ، وجلس ينتمن كأنما يتحدث نفسه .

واخذت الصغرى ، فاطمتها بمعونة الخادمة ، وحملناهما الى سريريهما ، وظللت بقربهما دقائق حتى هوم النعاس فوق جبينهما . وحين خرجت كان الجميع مرهفين اذانهم يصفون الى صوت الرجل وهو يتحدث من القاهرة عن حركة التمرد مرة اخرى ، ويروي قصة المساومة التي رفضها ، ويعلم ان الاوامر قد صدرت بالزحف الى دمشق للقضاء على حركة العصيان .

وكانت انظارنا جميعا متجهة الى الخارج ، تتطلع الى حلب واللاذقية ودير الزور ، وتبتهل اليها ، وترجع على اقدامها .

وحين اطفئ مفتاح الراديو ، ظللنا جميعا صامتين ، حتى تكلم اخي سامي فسأل زياد : - ما رأيك بهذا الخطاب ؟

فلبث زياد جامدا لا يجيب . وكانت على وجهه علامات الاسى ، ولم يتكلم الا حين طرح عليه عدليه السؤال مرة اخرى ، فقال في هدوء :

« لقد اعترف الرجل باخطاء قدارتكبت ، وهذا موقف الشرفاء من الرجال ، ولكن ... »

وكف زياد ، فنظرنا الى عينيه نستجلي المعنى الذي يجول في فكره فيتردد في النطق به . ثم رفع رأسه واطاف :

« ولكن هناك خطأ مريعا ... »

قال عديل زياد : - اي خطأ تقصد ؟

فقال زياد : - مهادنة الرجعية التي اعترف بها الرجل ، ان

إيماناً مخلصاً بالوحدة والاشتراكية .

فتمسكنا امامه عن السبب الذي يبرر هذا المسلك ، فقال بهزؤاً :
- يريدون باي ثمن أن يشتركوا في الحكم الذي حرموا منه فترة من الزمن . ثم قال كأنه يستدرك :

- أنت تعرفين اني لم افر ضرب هذا الحزب في الماضي ، ولا ابعاده عن المشاركة في الحكم . ولكنني لا انتظر منه اليوم ان يسلك طريق الانتهازية التي كان يعيها ابداً على حزب اخر .. انه هنا يبيع الغاية كسباً للوسيلة !

وبعد ان صمت لحظات ، اطرق براسه الى الارض ، وقال :

- تمثلي الآن يا ليلي اجيال الشباب الطالعة وهي ترى العقيدة التي تعتقها يطوح بها وتطمع فديستيتها بهذا الاستخفاف ! اليس في هذا المسلك انكار لماضي ذلك الحزب، وتشكيك في مستقبل العقيدة بالذات ! ثم اغضض زياد عينيه ، كأنما يجلب الى اعماقه ظلاماً كان ابداً يدافه بالامل والإيمان .

ورأيته يستسلم للانفعال مرة اخرى ، حين استمع الى بيان الرئيس الذي ترك فيه لسوريا مصيرها وانهاه بعبارة المتهدجة الباكية : « اعان الله سوريا الحبيبة على امرها » .

فلقد وضع زياد وجهه بين يديه ، وانفجر في بكاء اخذ يهز كتفيه وظهره واطرافه وبقي دفاق يبكي كالاطفال ، كأنه لا ينوي ان يصمت . وحين التفتت منه ، وانا اهتز مثل اهتزازه ، لاذكره بأنه هو الذي كان يدعو منذ ايام الى معالجة قضايانا على غير ذلك الاساس الانفعالي ، قال لي بما يشبه الإتهال :

- دعيني يا ليلي ابكي فترة اخرى .. دعيني افرغ كل ما في عيني من دموع ، لاني مؤمن اني لن ابكي بعد الان ابداً !
وعاد الى نشيجه الذي اخذ يخفت رويداً رويداً .

✦

ومساء اليوم التالي ، طلبت من زياد ان نخرج قليلاً لنتنسم هواء البحر ولينتاح الى ان امشي فترة من الزمن ، استجابة لتوصية الطبيبة . ولكنني كنت اقصد قبل كل شيء الى حمله على الخروج من ذلك الخدر الذي اغرقته فيه دوامة الاذاعات والابواب والصحف .

واوقف زياد السيارة عند رصيف كورنيش « الروشة » وهبطنا نتمشي في تناقل . ولكنني ما لبثت ان رأيت يتوقف فجأة امام بناية ضخمة وهو يقول لي : - اسمعي .. ما رأيك بان نزور « سمر » ؟ فسارعت اعارضه ليقيني بان هذه الزيارة لن تعود عليه بهدوء الاعصاب الذي كنت ابنتيه من ذلك الخروج . فقد كان سمر صديقاً من اصدقاء زياد السوريين ، ولكنني كنت اعرف ان القضية القومية لا تشكل ابي حال هما من همومه الرئيسية ، ولهذا ، لم اكن اتوقع ان نصيب من هذه المقابلة اية راحة نفسية كان زياد خاصة باشد الحاجة اليها . ولكنه الفعني بالزيارة ، محتجاً بأنه يود ان يسمع رأي صديق سوري يعيش خارج وطنه ، في تلك الحركة .

واستقبلنا « سمر » بالترحاب، وكان البشر يطغى من وجهه ، وكان لديه اخ له تاجر في دمشق حبسته الحركة دون عودته الى مقر عمله . وسرعان ما اخذ سمر واخوه يتحدثان عما كان يعانيه السوريون من تضيق على الحريات والازدق . ووصف سمر الحركة بانها في اخر المطاف « ثورة خبز » . وحين علقت على ذلك بقولي :

- ليس بالخبز وحده يحيى الانسان ، ولاسيما الانسان العربي اليوم . انبرى اخو سمر يسرد لنا قصصاً كثيرة وحكايات عما اصاب التجار من خسائر وما لحقهم من اضرار في رزقهم ومعيشتهم ، وازداد سمر بان علينا ان نعترف بان الله لم يساعد الوحدة اذ حبس المطر طول هذه الايام الثلاثة من عمرها .

وليث زياد صامتاً يسمع ، هادئاً الاعصاب ، ثم اكتفى بالقول :
- سوف تكون سدجا او عيانا اذا لم نعترف بالاطع . لقد ارتكبت اخطاء كثيرة ، اشار اليها المسؤولون في الاقليمين ، ولكنها مهما بلغت من مدى لا تبرر الانفصال . واستطرد زياد بعد قليل :

- ان قضية الوحدة ليست مجموعة قضايا مادية فقط ، بل هي في الدرجة الاولى قضية معنوية . صحيح ان العوامل المادية تؤثر فيها الى حدود بعيدة او قريبة ، غير انها لا تبلغ ان تقضي عليها . وحين ولدت ، لم تكون الدوافع المادية هي التي خلقتها .

قال سمر : - وما هو الحل الذي كنت ترتئيه لوضع حد للشكاوى التي صج منها السوريون ؟

فاجاب زياد : - كان ينبغي للاوضاع ان تصحح داخل اطار الوحدة . قال سمر : - لقد اتبحت هذه الفرصة للقاهرة ، كما تعلم ، ففضلت ان تفوتها ..

قال زياد في هدوء : - لو لم تكن الحركة انفصالية ، لما اعوزتها الوسائل لطلب تصحيح الاوضاع ..
- اية وسيلة مثلاً ؟

- كان بوسعها فور ان استتب الامر لها ، ان تعلن انها تريد الإبقاء على الوحدة ، وعلى الجمهورية العربية المتحدة ، وتدعو لانهاء النكاح الى ذلك، على ان تصحح الاوضاع وتزال اسباب الشكوى ، اذا كانت هذه الاسباب لا تمس جوهر الوحدة والاشتراكية . وحين تعلن دمشق ذلك، وتشهد الشعب العربي على هذا كله ، فلن يكون امام القاهرة الا ان تستجيب ، والا فقدت ثقة الشعب العربي ..

قال سمر : - انها دائماً اقتراحاتك المثالية يا زياد ! فمتى تصحح واقميا ؟

قال زياد باسماء : - حين تفسر لي يا سمر ما تعنيه بواقعيته !
وضحك سمر ، فطلعت انه راقب في انهاء النقاش ، فنلك كانت طريقته في وضع حد للمناقشة .. ورأيتة ييسط لزياد جريدة لبنانية ويطلب اليه ان يقرأ مقالا كتبه فيها صحفي لبناني متطرف . وقرأ لنا زياد مقاطع من المقال كان سمر واخوه يضحكان لها ، بينما كان يكتفي هو بالابتسام ، حتى قرأ اخر عبارة من المقال ، وهي تنص على ان « السوري حرف لا يقرأ » التفت الى سمر يقول :

- اهذه هي الواقعية التي تقصد ؟

فاستغرق سمر في الضحك ، ثم قال :

- لماذا تريدني ان اتعب نفسي ؟ لقد وقع الانقلاب ، وانتهى الامر، فلنقر هذا الواقع ، ونعمل على اساسه ..

ورأيت في عيني زياد تغيير استيائه ، فخشيت ان يفقد اعصابه ، ولكن الجرس فرغ في تلك اللحظة ، فنهض سمر يفتح الباب . وحين دخلت « هتاف » التفت الى زياد في شبه دهشة .. فقد كنا نعرف ان العلاقة كانت قد انقطعت بين سمر وهتاف منذ شهر .

وحيثنا هتاف بحيوية دافقة ، وسالتني عن صحة الطفل الذي سيولد ثم جلست واضعة ساقي على ساق ، كاشفة عن ركبتها بلامبالاة . وخطر لي بمدانها الجمالات الاولى ان اسألها رايها بالحدث، فترثت لحظة ثم اجابت بتلمظ : - انه اسعد يوم في حياتي ..

ثم روت كيف اتصل بها سمر صباح يوم الانقلاب يزف اليها النبا، وقالت : - كنت من شدة الفرح بحيث حسبتني اطيء !

ولاحظت بعد حين ان زياد بدأ يتململ في مجلسه ، فاستاذنا بالذهاب ، وعند الباب ، قال سمر :

- تربت يا زياد ، واتخذ الموقف الذي تمليه عليك مصلحتك .. ومصلحتك انت هي في دمشق ، لا في القاهرة .

فظل زياد يحدث لحظة في سمر الذي كان ما ينفك يقهقه ، ثم اخذ بترامي ومضى من غير ان يلوي او يقول كلمة ، وحين بلغنا اسفل الدرج ، قال زياد : - كان ينبغي الا الح بشأن الزيارة .

فقلت : - لا بأس ، اننا نفيد من كل شيء .

وقال زياد باسماء : - رأيت يا ليلي ؟ لقد عاد « الانقلاب » فجمعهما ! قلت : - بل هي المصلحة الخاصة ..

قال زياد : - وهل من فرق بين الانقلاب والمصلحة الخاصة ؟

✦

وعاد زياد يلازم المكتب والراديو . ولكنني بدأت احس انه يعاني

مشورات

لجنة التأليف المدرسي - بيروت

- **المرج:** سلسلة حديثة مصورة في القراءة العربية (ستة اجزاء)
- **مراحل القراءة:** سلسلة جديدة مصورة في القراءة العربية (خمسة اجزاء) .
- **الجديد في دروس الحساب:** سلسلة حديثة مصورة في الرياضيات (دفتران لحدائق الاطفال وخمسة اجزاء)
- **الجديد في دروس الاشياء:** سلسلة حديثة مصورة في العلوم (اربعة اجزاء)
- **الجديد في قواعد اللغة العربية:** سلسلة حديثة مصورة في قواعد اللغة العربية (اربعة اجزاء)
- **كيف اكتب:** سلسلة حديثة مصورة في الانشاء العربي (اربعة اجزاء)
- **الجديد في التاريخ:** سلسلة حديثة مصورة في التاريخ ، تأليف الدكتور عادل اسماعيل - (ثمانية اجزاء)
- **جغرافية العالم للجغرافي الشهير الاستاذ دادلي ستامب:** (اربعة اجزاء)
- **المطالعة التوجيهية:** سلسلة مصورة في المطالعة والاداب (اربعة اجزاء)
- **التعريف في الادب العربي:** سلسلة مستحدثة في الادب العربي حسب المنهج الرسمي الجديد للاستاذ رثيف خوري (جزءان)
- **نصوص التعريف:** عصر الاحياء والنهضة (١٨٥٠ - ١٩٥٠) للاستاذ رثيف خوري
- **اعلام الفلسفة العربية:** اوفى المؤلفات في موضوعه ، ويقع في ١٠٧٢ صفحة من الحجم الكبير تأليف الدكتور كمال اليازجي والدكتور انطون كرم
- **الجديد في الخط العربي:** سلسلة حديثة في الخط العربي بquam الخطاط الاستاذ كامل البابا (خمسة دفاتر)
- **الجديد في الرسم:** (ستة دفاتر)
- **بيوت وازهار:** كتاب في مبادئ المطالعة ، تأليف الاستاذ رشاد العريس

صيفاً لا يجد له متنفساً . وكان ذلك يطوف في عينه شروداً ، ويرتسم على ملامحه شبيهاً بالخدر والغمود . وجعلت اتردد على المكتب وقلوبه هنيهة يتنابني عليه . وحين دعاني للاصغاء الى حديث ذلك الشيخ من اذاعة دمشق ، كان على وجهه اشمزاز وغثيان ، لم يستطع ان يتم الاستماع ، فاقبل مفتاح الراديو وهو يقول :

— هذا الشيخ الذي يتحدث عن الاخلاق الكريمة ، ويصم الرئيس بكل عار ، تعرفين من هو ؟

— لا ، لا اذكر اني سمعت اسمه .

— انه مدرس الادب الذي تحدثت عنه يوماً في احدى قصصي .. ذلك الذي صرف من المهدي لما اتهم به من سلوك مشبوه ، فعاد السي دمشق ليصبح قاضياً شرعياً !

ثم روى لي زياد انه استمع الى عدد من الادباء السوريين الذين يحترمون ويتحدثون من اذاعة دمشق احاديث زلفى وتملق للمعهد الجديد . وقال لي ذات لحظة ، والتمزق في عينيه :

— وماذا بعد يا ليلي ؟ الى اين نحن سائرون ؟ اي طريق ايجابية نسلك الان ؟ وايفتت ان هذا السؤال هو الذي يطرحه الان ملايين الشبان على انفسهم ، وهم متوزعون بين ايمانهم بقوميتهم ، وخيبتهم من الكنيسة ، وصراعهم لمختلف التيارات التي تتجاذبهم .. ويقول لي زياد :

— اننا بحاجة الى شيء جذري يرد لنا الثقة المفقودة ويمدنا بقوة جديدة لاستثناف النضال .

وفي الليالي الثلاث التالية عادوني ذلك الشعور الذي انتابني ليلة وجدت زياد على الشرفة في الصيف ، فكنت اعاني ، حين لا يستبد بي الارق ، كوابيس واحلاما مزعجة ، ويستيقظ زياد احياناً على صرخات اطلقها من اعماق النوم اذ اراني وانا اضع طفلي الذي يولد ميتاً ، او اراني اعاني سكرات الموت ، بعد ان اكون قد وضعت مولودة اثني .

وقد استدعى زياد الطبيعة ذات صباح ، بعد ان اعدتته بذعري من ان حركة الطفل في احشائي قد انقطعت ، ولكن الطبيعة ابلغتنا بان كل شيء طبيعي ، وبشرتني بان الوضع اقرب مما كنت اقدر له .

غير ان ذلك لم يرد الينا اطمئناناً وهدوءاً . وكنت اذكر بلا انقطاع تلك الدعوة التي صعدتها تلك الليلة بان ينقذنا الاله من العذاب . اجل ، كان ذلك عذاباً لم يشأ الله ان ينقذنا منه ، كانا اراد عز وجل ان

يحملنا نحن عبء الوزر الذي سقط على وطننا وانساننا .. وكنت استرد بعض العزاء احياناً وانا اتسائل : « يجب ان نحمل قسطاً من هذا العذاب ، افليس كل منا مسؤولاً ولو جزئياً عن كل ما يصاب به ؟ »

وخطر لي ساعة ان اصرف زياد ، بطريقة ملائمة ، عما كان مستغرقاً فيه من توزع وياس وظلام ، فاقترحت عليه ان يسافر لبضعة ايام الى بلد اوروبي يلتبس فيه بعض السلوى ، فابتسم وقال وهو يحيط عنقي بلراعه . ان هذا فرار قد يقدم عليه سواي من « الحزينين » !

✱

قال زياد وهو يمسك بيدي في حنان :

— لا ادري ما الذي سيقوله الرجل الان . ولكن قلبي يحدنني انه .. وانقطع فجأة ، حين حمل الاثر صوت الرجل الى سامعنا يقول في قوة وايمان :

« لقد دقت ساعة الثورة .. ان طريق الثورة هو طريقنا .. دقت ساعة العمل الثوري » .

وقال زياد ، ويده ما تزال في يدي احس نبضها الدافئ : — ذلك هو طريقنا الحقيقي ، يصحح الرجل انحرافه ، فيعود كما كان ، رمزاً للثورة العربية العائمة .

وشنتت حيناً زياد بذلك البريق الذي لمحتة فيهما منذ ثلاث سنوات ...

وبعد بضع ساعات ، في تلك الليلة نفسها ، وضمت غلاماً قال زياد انه اجمل مولود رآه في حياته .

سهيل ادريس